ثنائية الذكورة والأنوثة في رواية " أقاليم الخوف" لفضيلة الفاروق

The Duality of Masculinity and Femininity In Fadila El Farouk « Akalim El Khawf »

عامو عمارة [1]*، شريف بموسى عبد القادر [2]

[1] المركز الجامعي مغنية ،الجزائر، amouk5180@gmail.com

[2] جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، abdelkaderc@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/09/01 تاريخ القبول: 2022/11/21 تاريخ النشر: 2022/12/24

ملخص: تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على ثنائية الذكورة والأنوثة في رواية أقاليم الخوف، حيث تعتبر هذه الثنائية، ركنا أساسيا اعتمدت عليه فضيلة الفاروق في بناء متنها الروائي. وقد عالجت من خلالها إشكاليات العلاقة بين الرجل(الذكورة) والمرأة(الأنوثة)، وهي تقوم في الأساس على علاقات قوامها السيطرة والاضطهاد و الظلم الذي يمارسه الرجل على المرأة التي كانت وما تزال خاضعة له باعتبار أن التاريخ والثقافة يرجحان كفة الهيمنة لصالحه، خاصة في المجتمعات الشرقية التي تقوم على أساس التمييز بين الجنسين وتفضيل الذكر على الأنثى، تصل إلى درجة تقديسه في بعض المجتمعات.

كلمات مفتاحية: ثنائية، ذكورة، أنوثة، أقاليم الخوف.

Abstract: This study investigates the masculinity and femininity in the noval « Akalim.El Khawf » since the binary is considered as a vital élément used by « Fadila el Farouk »in her novel text .And I've addressed the problems of the relationship between men (masculinity) and women (femininity) wich are essentially based on reltionships of domination oppression and in justice by men on women who have been and continue to be subordimate to it ; since history and culture ten to dominate in his favour ;Especially in eastem communitier based on gender discrimination in some socities.

Keywords: The binary ; The masculinit ;The femininity ;Akalim el Khawf .

* **المؤلف المرسل**

1. مقدمة:

تعد قضية المرأة وعلاقتها بالرجل من القضايا الأساسية التي ترتكز عليها الرواية النسوية، التي تسعى إلى الدفاع عن المرأة وقضاياها، ومحاولة إنصافها مما وقع عليها من ظلم و إقصاء وتهميش بفعل المنظومة الذكورية المتغلغلة في المجتمعات العربية، الساعية إلى إخضاع الأنثى لسيطرة الذكر باعتباره مركز المجتمع وعنصره الفاعل، بينما الأنثى هي الهامش الذي يدور في فلك هذا المركز(الذكر).

وقد حاولت الذات الأنثوية التحرر من السجن الذكوري وفك الحصار المطبق عليها، من خلال مسارات عدة، أبرزها فعل الإبداع الذي أتاح لها فرصة التعبير عن ذاتها ومكنوناتها وما عانته من كبت وإقصاء.

وتعتبر قضية المرأة وإشكاليات مواجهتها مع المؤسسة الذكورية السلطوية، من أهم القضايا التي أثارت جدلا كبيرا بين الدارسين، وبحثنا هذا يقوم على إبراز تجليات هذه الإشكالية، من خلال الكشف عن طبيعة العلاقة بين الرجل(الذكورة) والمرأة(الأنوثة)؟ ورصد أنماط حضور هذه الثنائية في المتن الروائي؟

وتكمن أهمية وجدية هذه الدراسة في تناولها لموضوع الذكورة والأنوثة انطلاقا من نص نسوي جزائري ممثلا في رواية أقاليم الخوف للكاتبة فضيلة الفاروق، التي تعتبر أحد أبرز الوجوه النسوية في الساحة الأدبية الجزائرية، وقد اتخذت الكاتبة من أعمالها الأدبية وسيلة للنضال من أجل قضايا المرأة والدفاع عنها ضد السلطة الذكورية. وقد اعتمدنا في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لاستقراء هذه الرواية.

ولهذا المقال أهداف منها: معرفة أسباب تهميش الأنثى والإعلاء من شأن الذكر والتمييز بين الجنسين. وقد انتهى البحث بخاتمة تضم أهم النتائج التي توصلنا إليها.

2. مفاهيم نظرية.

تعتبر الذكورة والأنوثة نسقين مختلفين وهما الأساس الطبيعي للتكوين البشري للإنسان، وهي مشكلة قديمة تعود إلى ما قبل الإسلام، وقد صور القرآن الكريم هذه القضية أروع تصوير، في قوله عز وجل:{ وإذا بشِّر أحَدهُم بأنثَى ظَلَّ وَجهُه مُسوَدًا و هُو كَظِيم (58) يَتَوارَى من القَومِ منُ سوءِ ما بُشِّر به أيُمسِكه على هَونٍ أم يَدسُّه في التُرابِ آلَا سَاء ما يَحكُمون(59) } سورة النحل.

1.2 مفهوم الذكورة.

أ. لغة: الذُّكورة من الجذر اللغوي (ذكر) والذَّكر خلاف الأنثى والجمع ذكورٌ وذكورةٌ، وهي مجموع الصفات الخاصة بجنس الذكور.[1]

ب.اصطلاحا: تعد الذكورة مفهوم بيولوجي يرتبط بجنس الرجل" كذكَر خلقه الله تعالى بملامح فيزيقية بيولوجية تميزه عن الأنثى، كما تعد مفهوما ثقافيا يرتبط بالثقافة الذكورية والتي ربطت الذكورة بالرجولة، بالرغم من أن الرجولة مفهوم اجتماعي يرتبط بالأدوار الاجتماعية التي يؤديها الرجل."[2]

2.2 مفهوم الأنوثة.

لقد تعاملت الكثير من الثقافات مع موضوع الذكورة و الأنوثة من زوايا نظر متعددة، فهناك النظرة البيولوجية التي تميز بين الطرفين على أساس الجنس فالرجل (ذكر) والمرأة (أنثى)، وهناك من يميز بينهما على أساس اجتماعي حيث يلصق بالمرأة كل مظاهر الضعف والسلبية وهذا ما تؤكده جوليا كريستيفا التي اعتبرت:" الأنوثة حيزا نظريا يمثل كل ما هو مهمش في إطار النظام الأبوي السائد، ومن تم تعتبرانه مصطلحا يصف الموقف الذي يمكن أن تتخذه أي ذات أنثوية." [3]

بينما تؤكد نوال السعداوي على:" أن الطبيعة لا تقيم فارقا غير منصف بين الذكر والأنثى، ولا تعطي الطرف امتياز أو سلطة على الآخر، وإنما الثقافة الذكورة هي التي توجد هذا الفارق و تمنح الرجل امتيازا وسلطة على المرأة، فالتمييز المجحف بحق المرأة ليس وليد الفوارق الجنسية الطبيعية، وإنما هو وليد الفوارق الجندرية".[4]

3. علاقة الرجل (الذكورة) بالمرأة (الأنوثة).

تقوم ثنائية الذكورة والأنوثة على العلاقة بين الرجل والمرأة وهي علاقة تحتفي بكل ما هو ذكوري وتهمش وتقصي المرأة وتحصرها في مجلات ضيقة، مما جعل الذات الأنثوية تعيش حلقات من الصراع لتأكيد ذاتها، ومحاولة زحزحة السلطة الذكورية و هيمنتها. وقد قدمت الكاتبة الرجل على" أنه أناني سلطوي لا يرى في المرأة إلا مصدر متعة...لا يهتم لزوجته أبدا." [5]

1.3 العلاقة بالزوج.

علاقة المرأة بالزوج من أهم العلاقات، لما لها من قداسة ودور في تشكيل مجمل العلاقات الأخرى، إلا أن هذه العلاقة قولبت في قالب من الذكورية المدمغة بالفكر الفوقي، مقابل دونية المرأة التي" تشكلت في الوعي الذكوري من خلال الموازاة بينها وبين الأشياء الجميلة الممتعة في الحياة، فكانت مفردات الجمال والحب والجنس ثلاث إشكاليات متداخلة يمكن من خلالها توصيف أبعاد العلاقة غير المتوازنة التي تنشأ بين الرجل والمرأة."[6] وبهذا اختزل الرجل المرأة في الجسد واعتبرها مجرد أداة للمتعة.

وقد صورت فضيلة الفاروق في روايتها علاقة إياد بزوجته مارغريت، وكأي رجل شرقي لم تتعدى علاقته ونظرته للمرأة حدود الجسد، خاصة أن المرأة الغربية تعتبر موضوعا مثاليا للجنس، فهي الأنثى التي يفترض من قبل الرجل الشرقي دائما أنها مباحة، وقد أكدت

مارغريت ذلك في قولها: "إياد الذي عشت معه أحلى أيام ... في نيويورك، والذي عاشرته وساكنته ثلاث سنوات قبل أن نتزوج."[7]

غير أن هذا الفكر الذكوري المنفتح المتأثر بالثقافة الغربية، تغير بعد زواجها واستقرارها في لبنان مع عائلة إياد، لتصطدم بواقع آخر، وتكتشف إياد الرجل الشرقي ذو الفكر الذكوري السلطوي، لتجد نفسها محاطة بمؤسسة ذكورية تفرض عليها ضوابط وقيود يجب أن لا تتخطاها، بداية من ملبسها تقول مارغريت:" أخته شهد...كلما دخلت علينا أحضرت لي قطعة من الثياب هدية، وتحرص أن تكون القطعة محتشمة بكمين طويلين، وطول يغطي ما تحت الركبتين."[8] لتكون بداية قمع الأنثى التي أصبحت ترتدي ملابس من اختيار الآخر (الذكر).

ولأن الأنثى تعيش لغيرها لا لذاتها بحسب تصور المجتمع الذكوري، فقد طالت عملية الاستلاب هويتها الشخصية ومعتقداتها الدينية وذلك من خلال تغيير اسمها من (مارغريت) إلى (مارية)لأنه "أخف لفظا...وهو غير ذلك اسم إحدى زوجات نبي الإسلام محمد "[9]ولعل سبب تغيير الاسم إلى (مارية) التمويه وإخفاء ديانة مارغريت المسيحية، مع أن الإسلام يكون طوعا وليس بالإكراه، لكن سبب كل هذا راجع إلى التقاليد المجتمعية المفروضة على المرأة والتي تحركها كيفما تشاء مثل "عرائس الكراكوز."[10]

وقد وجدت مارغريت نفسها محاطة بسياج السلطة الذكورية، التي أجبرتها على التنازل عن خصوصياتها وثقافتها وهويتها وحريتها الدينية، والاستسلام لطقوس المجتمع، تقول:
"أصبحت أنا أرتدي وآكل وأشرب ما يرضي الآخرين...وأنسى في الغالب أن هناك شخصا

هو أنا يجب أن أرضيه أولا."[11] وقد كررت الضمير "أنا" لتأكيد ذاتها، و تعزيز هويتها، وإثبات وجودها، ومواجهة المجتمع الذكوري، ومقاومة كل أشكال التحييز ضدها.

ولأن مارغريت عاشت تحت رحمة المؤسسة الذكورية، لا يسمح لها أن تفعل ما يفعله الذكر، فقد حاولت تحدي المجتمع الذي جعلها تتحرك بإرادة الآخر (الذكر) والتمرد عليه، من أجل تأكيد ذاتها والحفاظ عليها من فعل الأسلبة الذي طالها، ورفض ذلك النسق الأنثوي الضعيف الذي فرض عليها، قائلة: "كنت بحاجة إلى أن أجمع ذاتي، وأكون أنا من جديد، أما الله فأظن أنه يسمع أصواتنا بكل اللغات، إناثا وذكورا."[12] وفي قولها إشارة إلى حالة الشتات النفسي والفكري الذي عاشته، بفعل المنظومة الذكورية المتحكمة فيها، التي أدت بها إلى فقدان ذاتها والشعور بالغربة النفسية ولهذا حاولت جمع هذا الشتات لتخلق كيانا مستقلا لذاتها بعيدا عن النسق الذكوري.

وقد أشارت إلى ضرورة المساواة بين الذكر والأنثى، وأن هذا التمييز بين الجنسين هو بفعل الثقافة الذكورية التي تعلي من شأن الذكر وتحط من قيمة الأنثى، وسببه الفهم الخاطئ لمبدأ القوامة ، بحيث جعل الذكر في موقع المسيطر والمتحكم بسبب قوامته، في حين جعل الأنثى في مرتبة أدنى بسبب قصورها وضعفها .

وتقدم فضيلة الفاروق مؤسسة زواجية أخرى، تتمثل في علاقة سلوى بزوجها الحاج وهب، الذي يحاول إخفاء خياناته المتكررة لزوجته خلف ستار الورع والتقوى وبالرغم من معرفة زوجته لخيانته لها، إلا أنها تقف عاجزة أمام سلطة الذكر وسطوته، لأن خيانة الزوج لها ما يبررها في المجتمع الذكوري، ولهذا أقصى ما يمكن للزوجة فعله هو التجسس عليه " فبمجرد أن يعود إلى البيت ، تسرع إلى ثيابه، تتأمل الأكتاف لترى آثار الحمرة، وبقايا المكياج عليها وتشمشم البدلة من فوق إلى تحت بحثا عن رائحة الأنثى التي كان معها وعطرها."[13]

هكذا تستلب حرية سلوى، وتغتال مشاعرها عندما تساق إلى رجل خائن، يعتبر المرأة مجرد وعاء يفرغ فيه شهواته، وليس لها إلا الطاعة والخضوع. لأن" الثقافة العربية كما في أغلب الثقافات البشرية الأخرى، ملأت حياة المرأة بتيمات الوأد والاستلاب والتشيؤ، مما جعل من الثقافة فعلا ذكوريا قمعيا يمنع المرأة من التعبير عن عواطفها بحرية، وفي الوقت نفسه يباح للرجل أن يمارس ما يدل على فحولته الشرعية وغير الشرعية." [14]

والأنثى في المجتمع الذكوري لا تكتفي بالرضوخ لكل ما يقوم به الذكر فحسب، بل وتلتمس له الأعذار وهو ما يتضح من خلال دفاع أم وهب عن ابنها وهب حين شكت لها سلوى تصرفاته وخيانته لها قائلة: "خبي سرك، ما بيجوز تحكي عن أب أولادك بها الطريقة؟... الشكوى لغير الله مذلة."[15] فالأم كثيرا ما تتواطئ مع الذكر (الابن) وتفاضل بين الذكر والأنثى ومن ثم ترفع الذكورة على الأنوثة درجة، لأن قيمتها هي أساسا تتحدد بميلاد الذكر الذي يعتبر "رمز للرجولة والفحولة، ولادته إعلان من جهة عن نجاح الزوجة، ومصدر فخرها منه تستمد مكانتها داخل أسرتها وداخل المجتمع، ومن جهة أخرى دليل على فحولة الرجل وضمنه لمن يحفظ اسمه وملكه."[16] فللذكورة قيمة ثمينة و هي رمز للقوة في المجتمعات العربية.

وقد اختزل الزوج المرأة في أعمال المنزل وتربية الأولاد، يقول جون مل ستيوارت: "ظلت الزوجة بالفعل خادمة أقرب إلى الأمة أو الجارية لزوجها ولا يقل وضعها...عن وضع من تطلق عليهم عادة اسم الرقيق...فالعلاقة بين الزوج وزوجته هي نفسها العلاقة بين السيد الإقطاعي وتابعه، باستثناء أن الزوجة مطلوب منها طاعة غير محدودة أكثر مما كان مطلوبا من التابع."[17] وعلاقة الأنثى بالذكر في المجتمعات العربية أشبه بعلاقة التابع بالسيد.

2.3 العلاقة بالحبيب.

يعتبر الحديث عن الحب في المجتمعات العربية من الطابوهات، لأن الحب يعد فضيحة أخلاقية، لهذا كثيرا ما نجد الحديث عن هذا الموضوع يعتمد أسلوب المجاز والتلميح، إلا أن الكاتبة فضيلة الفاروق كانت أكثر جرأة في طرحها لهذا الموضوع، معتبرة الحب ضرورة في حياة المرأة، لأنه بالنسبة لها أكثر من مجرد إحساس، فعبره تستشعر كينونتها.

ومع تزايد رغبة مارغريت في لملمة شتاتها الداخلي، وإثبات ذاتها بالابتعاد عن زوجها والتحرر من سلطته، كانت بحاجة إلى التواصل مع رجل آخر يهتم بها و يشعرها بأنوثتها، وبذلك بقيت تدور في فلك الذكورة، فلتتحرر من ذكر كان عليها اللجوء إلى ذكر آخر وبهذا لا تحاول الأنثى إقصاء الذكر عن حياتها والاستغناء عنه أو أخذ مكانه، وإنما ترغب في اهتمامه وإحساسه بها ومشاركته لها وعدم تهميشها واحتقارها.

وقد بدأت علاقة الحب بين مارغريت ونوا، علاقة جسدية محضة تعكس حاجة كل منهما إلى الآخر، فنُوَا كان قد طلق زوجته، ومارغريت كانت زوجة جائعة تبحث عن المتعة، تقول: "لم يكن ما بيني وبين نوا عاديا، لقد كان شيئا احتجت أن يحدث فحدث...خمسة أيام فقط فإذا بي أندس في فراشه." [18]ثم تطورت هذه العلاقة لتعيش معه في شقة واحدة بالرغم من عدم ارتباطها به رسميا، مما يعكس الخلفية الثقافية لمارغريت وهي الفتاة المسيحية المتشبعة من روافد الثقافة الغربية بحكم عيشها في أمريكا، مخالفة بذلك قوانين وضوابط المجتمع الذكوري الشرقي، الذي لا يسمح للمرأة بتكوين علاقات خارج إطار الزواج.

وقد عبرت مارغريت عن حالة الحب والهيام التي كانت تعيشها بقولها:" كنت عاشقة، وكان نبض قلبه مثل أغاني الطفولة أسمعها فأنام"[19]وبهذا تعكس حاجة الأنثى إلى ذكر يهتم بها ويوقظ فيها مشاعر الأنوثة.

تكتشف مارغريت أن الحب الذي أرادت أن تعيشه هو مجرد وهم وسراب، بسبب تغييب الحبيب لها، بحيث لم تتعدى علاقته بها حدود العلاقة الجسدية والحصول على المتعة الجنسية، أما روحه فلا يمكن لمسها أبدا فالأنوثة –بالنسبة له – دنس لا يرقى إلى مستوى الذكورة، تقول مارغريت:" كثيرا ما أشعر بقلة وجودي معه، إذ يشعرني دوما أني عديمة الجدوى."[20] فتنتهي العلاقة إلى طريق مسدود، لأن الحبيب(نوا) لم يختلف عن بقية الذكور في المجتمع.

يتضح جليا من خلال علاقة الرجل بالمرأة، أن الذكورة تمثل العقل، مقابل الأنوثة التي تمثل الجسد وبهذا" يصبح جسد المرأة هو السلبي المستكين، وعقل الرجل إيجابيا فاعلا." [21]

4.أنماط حضور الثنائية في الرواية.

4.1الشرف (ذكورة) / العار(أنوثة).

الشرف قيمة ثمينة في المجتمعات العربية، وهو يتلخص في جسد المرأة وعذريتها، بحيث تمثل المرأة " مدلول العفة والشرف والعرض وما يجب على الفرد الحفاظ عليه لينال موقعه في المجتمع، وعلى خلافه فإنه ينبذ اجتماعيا." [22]وقد نصب المجتمع الذكوري نفسه حاميا لهذا الشرف ومدافعا عنه، باعتبار أن المرأة تنسب إليه وليست كائنا مستقلا بذاته، تقول سيمون دي بوفوار:" الرجل يعرف المرأة ليس لذاتها وإنما منسوبة إليه، فهي لا تعتبر مخلوقا له حرية ذاتية، والرجل يمكن أن يفكر في نفسه بدون امرأة، بينما المرأة لا يمكنها أن تفكر في نفسها بدون رجل، وهي ببساطة ما يقرره الرجل."[23] فالمرأة تعرف منسوبة إلى زوجها أو منسوبة إلى ابنها البكر، في حين لا يمكن نسبة الرجل إلى المرأة، وما يؤكد هذا شخصية (أم

وهب) التي لا نعرف اسمها الحقيقي، واكتفت الكاتبة بنسبتها إلى ابنها وهب حسب أعراف المجتمع الشرقي.

وخوفا من العار والفضيحة التي تجلبها المرأة للعائلة في حالة فقدانها للعذرية، وضع المجتمع الذكوري قيودا قاهرة، ورسم للمرأة حدودا لا يمكن تجاوزها، وعمل على تنظيم حركتها خارج البيت، وتغطية تفاصيل هذا الجسد الذي قد يؤدي بها إلى الوقوع في الخطيئة، من خلال فرض الحجاب عليها أو ما يسمى بالبوركا في أفغانستان، هذا الرداء الأزرق الذي فرضته طالبان على النساء، فلم تجد المرأة غير الخضوع و الاستسلام لإرادة المجتمع الذكوري.

في المقابل تمثل مارغريت نموذج للأنوثة الثائرة، المتمردة على الذكورة وقوانينها، وقد تمثل ذلك من خلال رد مارغريت على نوا عندما طلب منها لبس البوركا، قائلة:" انفجرت في وجهه، كنت أصرخ، مصابة بنوبة غضب فجائية، لماذا لا ترتدي أنت البوركا وتعيش في حفلة هلاوين لا تنتهي، لماذا تفكر دوما انطلاقا من ذكوريتك لماذا لا تفكر انطلاقا من إنسانيتك، وأن هذا الإنسان الذي يغطى من فوق إلى تحت لإخفائه وتحويله إلى شبح، إنسان مثلك له الحق في التعرض للشمس والهواء له الحق مثلك تماما ليأخذ نصيبه كاملا في الحياة."[24]

جاء رد مارغريت عنيفا معلنا تمردها على السلطة الذكورية، والدفاع عن المرأة والمعاملة اللاإنسانية التي تتعرض لها من قبل الذكر، مدركة أن لها حقوقا في الحياة عليها أن تنالها، مؤكدة ذلك في قولها (إنسان مثلك) أي أن المرأة إنسان لا تختلف عن الذكر.

وقد تطرقت فضيلة الفاروق في روايتها إلى قضية جوهرية، منتشرة بكثرة في المجتمعات العربية، وهي جرائم الشرف التي ترتكب في حق النساء بصمت دون أي رادع قانوني أو

اجتماعي لها، حتى أننا قد نجد تواطئ بعض المؤسسات القانونية مع مرتكب الجريمة، تحت ذريعة حماية الشرف وغسل العار وهذا ما حدث مع السيدة الباكستانية زاهدة التي شك زوجها أنها تخونه مع رجل آخر؛" فقطع أذنيها لأنه افترض أنها كانت تسمعه بأذنيها، وفقأ عينيها لأنه افترض أنها كانت تنظر إليه، وافترض ما افترضه، وبتر منها ما بتر، ثم برر جريمته قائلا أنه مسلم ومن واجبه أن يغير المنكر بيده ليظفر برضى الله، وينقذ شرفه." [25]ومع كل هذا العنف الذي مارسه الزوج ضد المرأة، والمعاملة الوحشية والتشويه الذي طال مناطق مختلفة من جسدها، لم يعاقب بفعل غياب الردع القانوني لمثل هذه الجرائم.

والغريب في الأمر، أن القاضي طلب من المرأة (زاهدة) إحضار شهود لإثبات براءتها، بالرغم من نفي السيدة للتهمة الموجهة لها من طرف الزوج، مع أنه لم يطلب من زوجها إحضار شهود لإثبات صدق ما يتهم به زوجته، وبهذا تبدو" الذكورة في المستوى الدلالي كقدرة على إعادة الإنتاج جنسيا واجتماعيا وقدرة على القتال، وممارسة العنف...عكس المرأة ممثلة الشرف، موضوع للدفاع عنه أو فقدانه، لا مزية لها سوى الإخلاص، بينما يسعى الرجل بما يملك من إمكانيات إلى تحسين وضعه بالسعي نحو المجد والتميز." [26]

وقد اكتفى القاضي بتحرير المرأة من الحكم بالرجم حتى الموت؛ لأن زوجها شوه جسدها واعتبر ذلك عقابا لها، إضافة إلى الحكم بالسجن، وتعلق الكاتبة على هذه الحادثة ساخرة من الأعراف الذكورية، التي تخول للرجل كل الصلاحية ليفعل بالمرأة ما يريد، بل إنه يفتخر إذا سبب لزوجته عاهات مستديمة،" وبعد جرائم مثل هذه تكبر قامات أولئك الرجال القتلة وينبت لهم المزيد من شعيرات الشرف في لحاهم ويصبحون ناصعي السمعة فيمشون بخييلاء، وهم يبصقون سوائل القات من أفواههم." [27]

وقد وجهت الكاتبة هذا النقد اللاذع للمجتمع الذكوري، الذي يحتقر المرأة ويجعلها ضمن ممتلكات الرجل الخاصة، يفعل بها ما يشاء، مشيرة إلى التدين الشكلي الممثل في إطالة اللحية، مما يترك انطباع لدى الناس على التدين والورع والتقوى. وفي قولها (يبصقون سوائل القات) إشارة إلى اللامساواة بين الذكر والأنثى، بحيث أنه لا يحاسب على أفعاله مهما كانت حتى وإن ارتكب جريمة وهو تحت تأثير مخدر القات، ولهذا عوقبت زاهدة لمجرد الشك في خيانتها، ولم يعاقب زوجها الذي شوهها مع أنه يتناول المخدرات.

ولطالما كانت عقوبة الخيانة قاسية في المجتمعات الشرقية، وتقع على الأنثى وحدها دون الذكر، أخفت مارغريت خيانتها لإياد خوفا من رد فعله قائلة:" كأية امرأة عربية أخفيت خيانتي له...لم أخبره أني خنته خيانة كاملة جسدا و تفكيرا، فدماؤه الشرقية لن تتحمل ذلك"[28]لأن الخيانة بالنسبة للرجل الشرقي إذلال لرجولته وفحولته، ويكون القتل مصير المرأة لغسل العار الذي يلحق بالرجل بسببها.

وتقدم الكاتبة نموذج آخر للذكورة الغاصبة، فالذكر نفسه الذي ينادي بشرف المرأة وعفتها، هو من ينتهك شرفها، وقد طرحت هذه القضية من خلال حادثة اغتصاب الأستاذ متوكل (المتدين) لشمائل، التي لجأت إليه ليحميها من القصف الذي تعرضت له المدرسة، تقول شمائل:" عدت إلى المنزل جريحة، مجردة من العفة والشرف... خوف طويل وثقيل جثم علي ولم يغادرني." [29] وأصل هذا الخوف الذي شعرت به شمائل نابع من تفكيرها في مصيرها لأنها فقدت عذريتها رمز العفة والشرف، وبدونها لم تعد تساوي شيئا.

ولأن الذكر في العرف الاجتماعي هو المسؤول عن حماية شرف الأنثى، لجأت شمائل إلى والدها وأخبرته بما حدث معها، فقرر محاسبة متوكل على فعلته، وقد جاءت هذه المحاكمة على غير العادة، فالمتعارف عليه في مجتمعاتنا العربية أن المرأة هي التي تعاقب حتى و

إن اغتصبت، لكن هذه المرة انتصر المجتمع الأبوي للأنثى على حساب الذكر، تقول شمائل:" أقسم والدي أن يقتلع عينيه أمامي ثم يقتله... كان متوكل يقطر عرقا، وقد تورم وجهه من الضرب...راح كالكلب يقبل حذاؤه ويستعطفه... لكن والدي قذفه بقدمه... تقدم منه، فقأ عينه اليمنى فخرجت من فمه أصوات تشبه عواء الذئاب، فقأ عينه الأخرى." [30]
و رغم تعذيب الأب لمتوكل واقتلاع عينيه إلا أن نيران الغضب لم تخمد، لأن لحمه اغتصب، وانتهكت حرمته، وسلبت كرامته.

تحجرت عواطف الأب وقرر قتله ليكون عبرة لكل من يحاول لمس أنثى من إناثه،" وضع كومة من المال في كف الزعيم قائلا: "خذوه على شي حرش مقطوع واربطوه، خلوه يعرف شو يعني الخوف والضعف وسلب الكرامة قبل ما يموت." [31]بهذا التصرف حاول الأب أن يعيد لابنته الاعتبار المعنوي، بالانتقام من متوكل وجعله يحس بالخوف والضعف الذي أحست به.

ونظرا للقيمة الكبيرة للعذرية في المجتمعات العربية، أخذ والد شمائل ابنته إلى طبيب أجرى لها عملية ترقيع، فكان ما فعله الأب في نظر ابنته هو الصواب، قائلة:" قانون والدي كان الأصح، أعاد لي الاعتبار المعنوي الذي فقدته." [32]

والتصرف الذي قام به متوكل يرجع أساسا إلى التربية التي يتلقاها الذكر في صغره، والتي تقوم أساسا على الحرية المطلقة الممنوحة له، باعتباره ذكر بإمكانه فعل ما يريد دون أي توجيه أو ردع من طرف الوالدين، تقول شمائل:" لئن ربت المرأة أبنائها ليكونوا مثل الحيوانات، فإنهم بالغريزة سيعرفون الأنثى، سيمزقون حجابها...و سيغتصبونها، ولئن ربتهم على الأخلاق والعفة، فسيرون في كل أنثى الأم والأخت والرفيقة، وكائنا يتساوى معهم في

الاحترام."[33] فالمرأة هي التي ربت هذا الذكر وبالغت في إعطائه الصلاحيات والحريات، دون أن تربيه على احترام الأنثى، وبهذا يرجع تسلط الذكر إلى الأسس التربوية التي نشأ عليها من قبل الأنثى الأولى في حياته.

وتصور الكاتبة ظاهرة الشذوذ الجنسي التي أصبحت منتشرة في المجتمع العربي الإسلامي الذي يحرم مثل هذه الممارسات، التي تحط من قيمة الذكورة، وقد تمثل ذلك في الشاب شوقي الذي كانت تحبه مارغريت وهي في السابعة عشر من عمرها، إلا أنه يصارحها بحقيقة شذوذه، قائلا:" أنا لوطي يا مارغريت، أجساد النساء لا تعني لي شيئا!." [34]

وبالرغم من شذوذ شوقي إلا أن والده يفتخر به، ويثني عليه لأنه ذكر، متجاهلا أن لا علاقة لابنه بالرجولة والفحولة،" يا للذكورة المهدورة هيدا لما خلفوه أهله كانوا مبسوطين أنهم جابوا صبي!." [35]تصف مارغريت الذكورة الشاذة بكثير من الحسرة، لأنها ذكورة غير سوية وعار على المجتمع الذكوري.

وتقدم فضيلة الفاروق نموذج آخر للذكورة، تتمثل في الذكر الذي يتخذ من الدين ستارا يحجب حقيقته، ليظهر بمظهر العفة والشرف، من خلال شخصية الشيخ (عبد الله) الذي كان في لبنان إمام عائلة آل منصور في كل صلاة، يتظاهر بالورع والتقوى ويوصي بالحلال والأخلاق الحسنة، أما في دارفور فينتحل اسم (إسماعيل جاد الحق) تاجر سلاح، وقد اكتشفت مارغريت حقيقته أثناء سفرها تقول:" كان هو الشيخ عبد الله...الملامح نفسها، الصوت نفسه، الخاتم في خنصر يده اليمنى التي مدها لي هذه المرة ليصافحني مع أنه لا يصافح النساء... بدون عباءة ... وبدون تقواه وورعه، رجل آخر يتقاسم قنينة ويسكي مع مغامر مثله." [36]وهذا ضرب من التدين الشكلي، لإخفاء الباطن، فليس كل من أطال لحيته

ورع وتقي، وهو ما عبر عنه المفكر الإيراني علي شريعتي: "أشفق على الفتاة حين تسوء سمعتها فهي لا تستطيع تربية لحيتها لتمحو تلك الصورة." [37]

2.4القوة (ذكورة)/الضعف (أنوثة).

إن ثنائية القوة والضعف، يحملها الإنسان في تكوينه الجسدي والفكري، وهي موجودة بشكل نسبي، إلا أن المجتمع ينسب القوة للذكر، والضعف للأنثى، لكن بطلة الرواية مارغريت حاولت خرق هذه القاعدة الذكورية، بسفرها إلى العراق بحثا عن (نوا) في محاولة لإثبات قوتها وشجاعتها، فتنتقل من جو الهدوء والاستقرار، إلى جو العنف والخوف." فالمرأة حين تتساوى فإنها تتساوى بالرجل، وحين يسمح لها بالمشاركة فإنها تشارك الرجل، وفي كل الأحوال يصبح الرجل مركز الحركة وبؤرة الفاعلية، وكأن كل فاعلية للمرأة في الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية فاعلية هامشية، لا تكتسب دلالتها إلا من خلال فاعلية الرجل." [38]

في العراق تلتقي مارغريت بالسائق عروة، الذي يبيعها للبروفيسور شنيدر مقابل مبلغ زهيد من المال، وهذا دليل على العبودية التي تعاني منها المرأة في المجتمع الذكوري، الذي يعتبرها سلعة تباع وتشترى، وعلى الرغم من أن الصفقة تمت على مرأى عينيها إلا أنها لم تستطع فعل أي شيئ، لم تقوى حتى على الصراخ، مما يؤكد مبدأ قوة الرجل المتمثل في (عروة) وضعف المرأة (مارغريت).

وتتناول الساردة مواضع التأزم في علاقة الذكر بالأنثى، من خلال المحقق محمد، الذي يظهر في تمثيلات العنف العضلي على وجه التحديد، تقول مارغريت:" تقدم مني...فإذا بيده ترتفع وتهوي على وجهي، الأشياء في رأسي تبعثرت، ذقني تحركت من موضعها وألم فظيع

اخترق أذني واستقر في عمق رأسي."[39] تصور البطلة الوضع المأساوي الذي تعيشه، وهي مستسلمة ومنهارة أمام قوة السلطة الذكورية التي أخضعتها لشتى أنواع العذاب.

ولتظهر الكاتبة قوة الأنثى جعلتها تتحمل هذا العذاب، وتتلذذ بالعنف الممارس عليها قائلة:" يمسكني من شعري، ويجرني إلى الطاولة، ويلقي بي عليها...رائحة العود تنبعث منه، وتجعل إيلامه لي لذيذا، يلوي ذراعي نحو الخلف... جاوب!... لن تأخذ مني كلمة أيها الحقير... كنت أستفزه ليكون شرسا أكثر." [40]ولعل هذا راجع إلى المعاملة التي كانت تتلاقاها من المجتمع الذكوري مما ولد لديها نزعة مازوخية، تعودت ممارسة الألم عليها، إلى درجة اشتهائه، وترجع نوال السعداوي مازوخية المرأة إلى" الكبت وأنه السبب وراء ماسوشية المرأة وسادية الرجل." [41]في حين يرى سيغموند فرويد أن" القواعد الاجتماعية وجبلة المرأة تقسرانها على كبت غرائزها العدوانية، ومن هنا تتشكل لديها نزعات مازوخية قوية."[42]

تفقد مارغريت قدرتها على التحمل، وتبدأ بالاعتراف بحقيقة عملها وتواجدها في العراق، وهو بمثابة إعلان لانتصار الذكورة وفشل الأنوثة فمارغريت على الرغم من دخولها في مشروع مثلت فيه الطرف الأقوى إلا أنها فشلت في إنهائه، على الرغم من أنها ظهرت في مواضع كثيرة في الرواية كأنثى تتميز بالصلابة والقدرة على رسم حياتها، ويتجلى ذلك في ابتعادها عن (إياد، نوا) لإضهار قدرتها على الاستغناء عن الذكر، وهدم المؤسسة الذكورية من خلال استغلالها (لإياد و نوا) لأغراض شخصية إلا أنها تهزم في الأخير على يد محمد الممثل للسلطة الذكورية، التي أجبرتها على الخضوع والانكسار.

4. خاتمة:

خلصنا في ختام هذه الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

–قضية الذكورة والأنوثة من أكثر القضايا التي أثارت جدلا في الثقافة العربية، رسمت صورة للذكر تعلي من شأنه، مقابل صورة نمطية للأنثى تحط من شأنها، لتجعلها خاضعة وتابعة للذكر. وقد انطلقت فضيلة الفاروق في تمثيلاتها الذكورية من مواقف ومشاهدات حية من واقع ماثل ومسيطر، لا من توقعات بعيدة عن واقع الممارسات للمؤسسة الذكورية في مجتمعها، وقد وظفت الكاتبة لغة جنسية في شرح علاقة المرأة بالرجل الشرقي، وفق لغة تعبيرية صريحة ومباشرة، تجاوزت من خلالها القيود العرفية التي لطالما قيدت الكاتبة الجزائرية ولعل هذا راجع إلى موجة التحرر التي جاءت بها الرواية النسوية.

– القضية التي طرحتها الكاتبة ضمت في مجملها قضية المرأة الشرقية في المجتمع الذكوري، والقيود والتقاليد والأعراف المجتمعية التي تحد من حرية المرأة، وقد اكتفت بسرد الوقائع فقط ، محاولة التنديد بالواقع الاجتماعي للمرأة.

– الرواية نقد لاذع لأزمة الواقع العربي، وللفكر الذكوري في هذا المجتمع، واعتبار الفكر الذكوري هو المسؤول عما تعيشه المرأة من أزمات عبر مختلف شخصيات الرواية.

– لقد جاء خطاب المرأة مشحونا بالصراع بين الذكورة والأنوثة، معلنة من خلاله تمردها على الفكر الذكوري، ورفضها للواقع الاجتماعي، وقد سعت إلى جعل الأنوثة هي المهيمنة ومحاولة إزاحة السلطة الذكورية المسيطرة على المرأة، لكن تفشل في ذلك، وكأنها تقول مهما انتفضت المرأة وتمردت فإنها في الأخير ستبقى تحت سيطرة الذكر، وقد عكست ذلك، من خلال إخضاع بطلة الرواية مارغريت لسلطة الرجل في الأخير، على الرغم من ثورتها وتمردها في بداية الرواية .

– جسدت الذكورة في رواية " أقاليم الخوف " كل مظاهر السلبية والتسلط والعنف والخيانة، وفي مقابل ذلك تهميش الأنوثة واستلابها واحتقارها، والنظر إليها نظرة دونية.

5. قائمة المراجع:

***القرآن الكريم**

1–ابن منظور، لسان العرب، بيروت، لبنان، دار صادر،ج 6، ط3، 1994، ص37.

2– مروة عبد الله عامر، مفاهيم الذكورة والرجولة دراسة في الأنثروبولوجيا البيولوجية، مجلة البحث العلمي في الآداب جامعة عين شمس، مصر،ع 20، ج2، 2019، ص 570.

3– سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية ترجمة أحمد الشامي، القاهرة، مصر، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2002، ص 97.

4– نوال السعداوي، المرأة والجنس، الاسكندرية، مصر، مطابع المستقبل، 2018، ص 50 .

5– الكبير الداديسي، أزمة الجنس في الرواية العربية بنون النسوة، بيروت، لبنان مؤسسة الرحاب الحديثة ،ط1، 2017، ص167.

6– حسين المناصرة، النسوية في الثقافة والإبداع ، الأردن، عالم الكتب الحديث ، ط 1، 2008،ص 32.

7– فضيلة الفاروق ،أقاليم الخوف، بيروت، لبنان، رياض الريس، 2010، ص 15.

8–المصدر نفسه، ص 13.

9–المصدر نفسه، ص 20.

10–المصدر نفسه، ص 11.

11–المصدر نفسه، ص 21.

12–المصدر نفسه، ص 33.

13-المصدر نفسه، ص 16.

14- حسين المناصرة، النسوية في الثقافة والإبداع، ص 71.

15- فضيلة الفاروق، أقاليم الخوف، ص 17 .

16-جبارة إسماعيل، شخصية البطل و إنتاجها للمعنى السوسيولوجي في ثلاثية مولود فرعون، أطروحة دكتوراه ،الأدب الجزائري الحديث، بوروبة الشريف، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2013/ 2014، ص 211 .

17-ينظر، جون مل ستيوارت، استعباد النساء، ترجمة إمام عبد الفتاح، مصر، مكتبة مدبولي،ط1 ، 1998 ، ص 74.

18- فضيلة الفاروق، أقاليم الخوف، ص 8 .

19-المصدر نفسه، ص 44.

20-المصدر نفسه، ص 52.

21- محمد نور الدين أفاية، الهوية والاختلاف في المرأة الكتابة والهامش الدار البيضاء، المغرب، إفريقيا الشرق ، د.ت، ص 34.

22-صاحب الربيعي، المرأة والموروث في مجتمعات العيب، دمشق ، سوريا، صفحات للدراسات و النشر، ط1،2010، ص 27.

23- عصام واصل، الرواية النسوية العربية سلطة المركز و تمرد الهامش، مجلة الآداب ، جامعة ذمار، اليمن، ع11، يونيو 2019، ص 10.

24-فضيلة الفاروق، أقاليم الخوف، ص 26.

25-المصدر نفسه، ص 63.

26–الشريف حبيلة، الرواية والعنف:دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، إربد، الأردن،عالم الكتب الحديث، ط1 ، 2010، ص 227.

27– فضيلة الفاروق، أقاليم الخوف، ص 64 .

28–المصدر نفسه، ص 8.

29–فضيلة الفاروق، أقاليم الخوف ، ص 74.

30–المصدر نفسه، ص 73.

31–المصدر نفسه، ص 73.

32–المصدر نفسه، ص 74.

33–المصدر نفسه، ص 31.

34–المصدر نفسه، ص 43.

35–المصدر نفسه، ص 43.

36–المصدر نفسه، ص 32.

37–سلمان داود الكندري، التدين الشكلي، مجلة القبس، 6 يناير 2017 .

38–ينظر، حامد أبوزيد، دوائر الخوف – قراءة في خطاب المرأة بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي ، ط3، 2004، ص29.

39–فضيلة الفاروق، أقاليم الخوف، ص 102، 107.

40–المصدر نفسه، ص110،109.

41– نوال السعداوي، الوجه العاري للمرأة العربية، مصر، مؤسسة هنداوي، 018 2، ص 87.

42-سيغموند فرويد، محاضرات جديدة في التحليل النفسي ترجمة عزت راجح، مصر، مكتبة مصر، د.ت، ص88.

قائمة المراجع:

الكتب

1ابن منظور، لسان العرب، بيروت، لبنان، دار صادر، ج 6، ط 3،1994، ص37.

2جون مل ستيوارت، استعباد النساء، ترجمة إمام عبد الفتاح، مصر، مكتبة مدبولي، ط1، 1998.

3حامد أبو زيد، دوائر الخوف – قراءة في خطاب المرأة، بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي، ط3، 2004.

4 سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، ترجمة أحمد الشامي، القاهرة ، مصر، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2002.

5سيغموند فرويد، محاضرات جديدة في التحليل النفسي، ترجمة عزت راجح، مصر، مكتبة مصر، د.ت.

6الشريف حبيلة، الرواية والعنف: دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، إربد، الأردن، عالم الكتب الحديث، ط1، 2010.

7صاحب الربيعي، المرأة والموروث في مجتمعات العيب، دمشق، سوريا، صفحات للدراسات والنشر، ط1، 2010.

8فضيلة الفاروق، أقاليم الخوف، بيروت، لبنان، رياض الريس،.2010

9الكبير الداديسي، أزمة الجنس في الرواية العربية بنون النسوة، بيروت، لبنان، مؤسسة الرحاب الحديثة، ط1، 2007.

10محمد نور الدين أفاية، الهوية والاختلاف في المرأة، الكتابة والهامش، الدار البيضاء، المغرب، إفريقيا الشرق، د.ت.

11المناصرة حسين، النسوية في الثقافة والإبداع، الأردن، عالم الكتب الحديث ، ط1، 2008.

12نوال السعداوي، المرأة والجنس، الاسكندرية، مصر، مطابع المستقبل ، 2018.

13 – نوال السعداوي، الوجه العاري للمرأة العربية، مصر، مؤسسة هنداوي،2018.

المجلات:

1 –سلمان داود الكندري، التدين الشكلي، مجلة القبس، 6 يناير 2017.
Alqabas.com/article/342195

2 –عصام واصل، الرواية النسوية العربية سلطة المركز وتمرد الهامش، مجلة الآداب، جامعة ذمار، اليمن ،ع 11، يونيو .2019

3– مروة عبد الله عامر، مفاهيم الذكورة والرجولة دراسة في الأنثروبولوجيا البيولوجية ، مجلة البحث العلمي في الآداب، جامعة عين شمس، مصر، ع20،ج2، 2019.

الرسائل الجامعية:

– شخصية البطل وإنتاجها للمعنى السوسيولوجي في ثلاثية مولود فرعون، أطروحة دكتوراه في الأدب الجزائري الحديث، بوروبة الشريف كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2013/ 2014.